

قراءة: في كراسات التدريب (بخبب محفوظ)

ص 81 من الكراسة الأولى

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD210612.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2012/06/21
السنة الخامسة - العدد: 1756



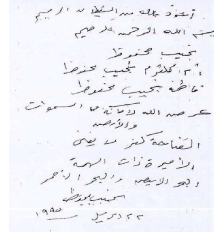
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

نجيب محفوظ

أم كلثوم نجيب محفوظ

فاطمة نجيب محفوظ



عرض الله الامانة على السموات والأرض

القناعة كنز لا يفنى

الأميرة ذات الهممة

البحر الأبيض والبحر الأحمر

نجيب محفوظ

22 ابريل 1995

القراءة:

بمراجعة ما سبق وروده من قبل، لاحظت أن الاستعاذه "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" وردت مرتين فقط طوال الثمانين صفحة السابقة، وردت في صفحة التدريب رقم (46) بتاريخ: 2011-11-24، وفي صفحة التدريب رقم (47) بتاريخ: 2011-12-1، في حين أن البسملة "بسم الله الرحمن الرحيم" قد بدأ بها كل الصفحات بلا استثناء (تقريباً لحين المراجعة) فبلغتني فكرة جديدة هي:

ما صلني هو أن شيخى لا يخاف من الشيطان الرجيم، ليس لأنه تحصن ضده، ولكن لأنه صاحب ربه فاطمأن إلى رحمته وقدرته في آن، هذه الاستعاذه هي جارية ضمناً من خلال هذه الصداقة الوثيقة، والرضا المتبادل، البسملة هي التحية الواجبة لاستحضار كل ما يليها في رحاب الله متوجهاً إليه في نفس الوقت. كثيراً ما كنت أبدأ مناقشة بعض رسائل الدكتوراه المكتوبة كلها بالإنجليزية إلا أول صفحة مزيّنة بالبسملة، عادة بخط كوفي أو فارسي وبنط كبير، تنصدر هذا البحث "العلمي!!" بكل به ما به من أخطاء وإهمال (وأحياناً كذب وغش) أسأل صاحب الرسالة في مستهل المناقشة: ماذا يعنى بهذه البسملة هكذا؟ وهل ما جاء بعدها هو باسم الله التزاماً بما أوصانا به ربنا، وطاعة لما يرضى عنه، وما نبهنا إليه الإمام الشافعي أنه: "ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع"، وعادة ما يدهش الدارس صاحب الرسالة ولا يرد، وقد يرد بعضهم أنها "بركة"، فأحتج وأكرر قولى أن القرآن الكريم (بما في ذلك البسملة) لا هو "زن" ولا "زينة"، لا هو "زن" طول الليل والنهار لا نستمتع إليه ولا ننصت، ولا هو "زينة" نتبرك بها من الظاهر، ثم أطيّب خاطر الدارس وأخفف عنه حتى يكمل المناقشة، وانبهه أن هذه المقدمة هي مداعبة لإذابة الثلج، وأنى لا أقصد إرباكه أصلاً!!

البسملة الدائمة قبل أى تدريب في كل الصفحات تقريباً، كانت ومازالت خير مفتتح يذكرنى بعلاقة

شيخى بربنا،

سامحهم الله ... فإنهم لا يعلمون".

(2) الجملة الثانية التي وردت ولكن بشكل آخر هي، "عرض الله الامانة على السموات والأرض"، فقد ورد ما يقرب من هذا المعنى في صفحة التدریب رقم (38) بتاريخ: 2011-10-6 حيث ورد "حمل الانسان الأمانة" وليس عرضها، كما جاءت هنا الآن: فالأستاذ يتناول هنا عرض الأمانة وليس حملها.

في القراءة السابقة قلت: ... يبدو أنه أوجز خلاصة ما وصله (من الآية) وكأنه يعيد النظر في هذا التصدى الذى قام به "الإنسان" مبادراً، حين عرض ربنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، وحملها الإنسان.... (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (الآية: 72 سورة الأحزاب)

أما في الصفحة الحالية فقد ركز الأستاذ على عملية "العرض" فقط كما ذكرنا دون تصدى الإنسان لحملها، وقد ناقشت معنى الأمانة في النشرة السابقة صفحة (38) بتاريخ 2011-10-6، ونبهت إلى الاجتهادات المتعددة التي وردت في كثير من التفسير و عدت منها كأمثلة أحد عشر اجتهادا هي: (1) حق الله على عباده وما شرعه لهم من توحيد (2) فرائض الله (3) حقوق الله (4) حاجات الناس وحقوق الناس من الودائع والرهون (5) دين الإسلام (6) الأمر والنهى (7) الخلافة (8) الجنابة (9) الصلاة والصوم (10) الطاعة (11) التوحيد، (وغير ذلك كثير مما هو مثل ذلك).....

ثم إنى تركت الباب مفتوحا أتساءل: كيف يمكن تصور أن ربنا سبحانه قد عرض أى من هذه الاحتمالات على السموات والأرض والجبال، وجميعها تسبىح بحمده وتقديسه له، ولم أستبعد ذلك طبعاً، إلا أنني حين تمنعت فى تسبىح الجماد والطبيعة، وربطت بينها وبين الإيقاع الحيوى الكونى وصلنى تسبىح هارمونى جميل ليس فيه اختيار، لكن الإنسان فى سعيه إلى استعادة هارمونية علاقته باللحن الكونى إلى وجه الله، وجد أنه قد أمْتَحَنَ باكتساب الوعى والوعى الذى تميز بهما ومن ثمَّ "الاختيار"، فالإنسان الذى حمل الأمانة كما جاء فى هذه الصفحة قَبْلَ مخاطرة أن "ينفصل" ليتصل"، وبالتالي فثمة فرصة أمامه لفحص اختياره، فلا يصبح إيمانه وتسبىحه مجرد ذرة تدور بالإيقاع مثل ذرات الجبال والسموات والأرض، وإنما يصبح له الحق أن يتصل بعد أن ينفصل وباختياره، وما أعظم المهمة وأشقها "كل من انفصل عن أصله يطلب أيام وصله"، إنه تكريم شديد الإرهاق: من ينجح فى اجتياز امتحانه يرتقى فوق تسبىح السموات والأرض والجبال/ وإلا فكم ظلم الإنسان نفسه بحمل أمانة لم يحسن القيام بمسئوليتها فكان "ظلوما" ظلم نفسه، "وجهولا": جهل حجم المسؤولية.

حين يكتب الأستاذ باكرا "حمل الإنسان الأمانة" صفحة التدریب (38) ثم يكتب هنا صفحة 81 أى بعد حوالى خمسين صفحة عن عملية عرض الأمانة، فإننا يمكن أن نفرح بهذا المخ البشرى وتعلم منه إذ يبدأ بذكر مسؤولية الإنسان وهو يتصدى لحمل الأمانة، ليكمل لنا الرؤية بالتركيز على "فعل العرض" نفسه، فيتعمق لدينا مغزى العمليتين المتكاملين المنفصلين بالزمن السردى المحتمل بين العرض (الذى جاء فى هذه الصفحة)، وبين تصدى الإنسان للحمل، ربما بدون عرض عليه بالذات، وفى هذا القلب الجميل لتسلسل الزمن ما يؤكد لنا حضور عبء حمل الأمانة المستمر طول الوقت قبل فكرة ظهور العرض فى وعى الأستاذ على هذه المساحة الرحبة.

ما بقى لدينا من جديد فى هذه الصفحة هو ثلاث عبارات وصلتنى بلا رابط ظاهر:

أولاً: القناعة كنز لا يفنى

بعد اجتهاد فى البحث عن معانى القناعة، ثم تأمل فى ما وصلنى من شىخى فى هذه المنطقة خلال عشر

سنوات تقريباً، بالإضافة إلى ما وصلني عبر ابداعه وبطريق غير مباشر، اكتشفت من خلاله معان للقناعة غير التي وصلنتي من بحثي الاستقصائي سواء كلفظ في المعاجم، أو حكمة أو فضيلة حسب تفسير المفسرين، القناعة لا تكون كنزاً لمن لا يملك إلا القناعة. لكي تفخر بقناعتك لا بد أن تختبر قدرتك، أو قدراتك أولاً، هل حقاً أنت "تستطيع" ثم "تتوقف"، وتفتن؟ أم أنك تفتن استسهالاً أو عجزاً؟

مثلاً: شخى كان قادراً أن يقتنى سيارة وسائقاً خاصاً، وقد كان من أوج الناس إليهما في الفترة الأخيرة، لكنه لم يفعل، والشقة المتواضعة التي كان يقطنها وهي التي عرفته فيها، كان قانعاً بها وكأنها قصر الرئاسة... الخ، وغير ذلك مما لا أستطيع أن أعدد أو أحصى، هذه قناعة ورضا حقيقيين.

لكنه لم يكن قانعاً بأى مستوى يصل إليه إبداعه، ونقلته النوعية من مرحلة إلى مرحلة (وإن كنت لا أوافق على تقسيم أعماله إلى المراحل التي قسموها إليها) هذا نوع آخر يرفض قناعة أخرى ليست الكنز الذي قصده شخى هنا، كان شبخنا يفاجئنا دائماً وربما يفاجئ نفسه بهذا الإبداع المتجدد شكلاً وموضوعاً، ويكفي اختراقه أولاد حارتنا بملحمة الحرافيش، ثم هذه الصورة العبقريّة التي تفجرت في "أصداء السيرة" لتكتمل "بأحلام فترة النفاة"، وغير ذلك كثير، وأعتقد أنه لم يقنع بجائزة نوبل، صحيح أنه فرح بها ولها ولنا، لكنها أبداً لم تكن محل فخره الأول، ولم يصلني أبداً أنه لاح له أن يقنع بها فيتوقف، هذا إذا كان سمح أصلاً لفكرة الفخر أن تمر به، مع أنه كان من أصدق من عرفت وهو يوافق على فخر المتنبى وفخر العقاد بنفسيهما.

ثانياً: الأميرة ذات الهمة

تكلموا كثيراً عن المرأة في أدب محفوظ، والمرأة في حياته، والمرأة في خبراته، وظلموه بقدر ما ظلموا المرأة، والأرجح عندي أنه كان ادري الرجال بالمرأة، وليس هذا مكان البحث في ذلك، والذي يريد أن يرى طيف حضور المرأة في وعيه يبدأ بالنظر في حبه لأم كلثوم وما تمثله كامرأة لها كل هذه المواهب الأثوية الإنسانية الفنية الإبداعية، إلى أن يصل إلى الست أمينة أم فهمى عبد الجواد ليرى امرأة مصرية أخرى لها جمالها الآخر، مروراً بكل نسائه ونساء رواياته (بما في ذلك المرايا والأصداء والأحلام)

حين رجعت إلى سيرة الأميرة ذات الهمة وجدتها أنها مثال المرأة المناضلة والبطلة التي تصدت للحملات البيزنطية دفاعاً عن العرض والأرض والشرف والكرامة... ، قلت: **أبدأ باقتطاف بعض ما جاء في سيرتها من باحث من وطنها المسلوب هو الباحث توفيق السهيلي الذي كتب عنها في مجلة صوت فلسطين العدد 4-5 كانون الثاني 2010 ما يلي:**

كلنا سمعنا عن الأميرة ذات الهمة وابنها عبد الوهاب.. هذه الأميرة العربية الفلسطينية تعتبر سيرتها الشعبية أكبر وأطول وأضخم سيرة شعبية في تاريخ البشرية، مخطوط هذه السيرة الشعبية الفلسطينية كان موجوداً في مدينة برلين وكان الألمان في الحرب العالمية الثانية (1939-1945) يقومون بنقل هذا المخطوط مع عدد من المخطوطات النفيسة الأخرى من مدينة إلى مدينة خوفاً عليها من قصف الحلفاء وحتى أوائل السبعينيات من القرن العشرين، كنا نحن الفلسطينيون قد سمعنا باسم هذه السيرة ربما للمرة الأولى وبالرغم من أهميتها في التاريخ الإنساني عموماً وفي التاريخ العربي والإسلامي على وجه الخصوص، لكن لم تقم أى من الجهات بالسؤال أو البحث عنها أو محاولة تصويرها أو طباعتها.. لكن هذا المخطوط لم يلبث أن طبع ورأى النور للمرة الأولى في إحدى دور النشر اللبنانية في ثمانينيات القرن الماضي وظهر في عدد من المجلات ذات الحلة القشبية.

فمن هي تلك الأميرة الفلسطينية؟ إنها الأميرة فاطمة بنت مظلوم بن الصحاح بن الحارث الكلابي، وقد ولدت فاطمة وتربت وسط أهلها وذلك في العهد الأموي في القرن السابع للميلاد.. وتدور أحداث سيرتها بدءاً من عصر (عبد الملك بن مروان) انتهاء بعصر آخر الخلفاء الأمويين (مروان بن محمد) وبدايات العصر العباسي.

إذن كان ميلاد الأميرة فاطمة ذات الهمة ونشأتها في وقت كانت فيه الأمة العربية والإسلامية تتصدى للعدوان على أطرافها وتتصدى في وجه ذلك العدوان الذي كان يهدد

وجودها.

ولقد شاركت فاطمة مع قبيلتها في القتال الدائر وفي التصدي للهجمات المعادية التي تستهدف أمتها وبرزت فاطمة همة وشجاعة نادرتين في القتال ولذلك أطلق عليها لقب (ذات الهمة)..

وكانت هذه الأميرة الفلسطينية جميلة حسناء، وكانت تحب ابن عمها الأمير مرزوق الذي اتصف هو الآخر بالنبيل والشجاعة فاقتترنت به وأنجبت ابناً سمته (عبد الوهاب). وتتحدث السيرة الشعبية التي نحن بصدد الحديث عنها عن الأميرة فاطمة (ذات الهمة) وابنها عبد الوهاب ونشاطاتهما وجرأتها واستبسالهما في القتال لصد العدوان عن الأهل والعشيرة والأمة.

كان حجم مخطوط تلك السيرة الشعبية يبلغ نحو ثلاثين ألف صفحة ومن المعروف أن أحداث تلك السيرة والحديث عنها وما تضمنته من قصص وحكايات قد انتقلت أولاً من مدينتي يافا وعكا الفلسطينيتين إلى أرجاء الساحل العربي السوري، ثم دخلت إلى مصر عن طريق غزة، ونظراً لما لاقتته هذه السيرة في مصر من اهتمام الناس بها واحتضان العامة والفقراء لها ونظراً لانتشارها الواسع في مختلف القرى المصرية نظراً لهذا كله، فقد ظن الكثيرون أنها سيرة شعبية مصرية ولكن الحقيقة التي لا تقبل النقاش والجدل أنها سيرة شعبية فلسطينية بامتياز.

لقد دافعت الأميرة فاطمة ذات الهمة عن الخلافة الإسلامية في وجه الحملات البحرية البيزنطية التي كانت حينذاك تستهدف الساحل الشامي كله ويقال إن الأميرة فاطمة ذات الهمة قد قادت جيشاً عربياً وصل إلى مالطة والقسطنطينية. إذن فسيرة الأميرة الفلسطينية (فاطمة ذات الهمة) وابنها عبد الوهاب تعتبر كما أشرنا من قبل أكبر وأضخم وأطول سيرة شعبية في تاريخ العالم لكنها للأسف الشديد لم تحظ بأي بحث أو دراسة أو اهتمام مما أدى أن ينسبها الآخرون إليهم.

انتهى المقتطف من الباحث توفيق السهيلي

ثم إنى عثرت على كتابين عنها أرسلت أفتنيهما:

- كتاب "الأميرة ذات الهمة" تأليف د. شوقي عبد الحكيم - الناشر: دار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع عام 1994
- كتاب "سيرة الاميرة ذات الهمة" تأليف الدكتورة نبيلة إبراهيم - الناشر: المكتبة الأكاديمية عام 1994.

وقد أرجع إليهما إذا عاد الأستاذ إلى ذكرها

والآن؛ يا ترى: ما الذى جاء بطيف هذه الأميرة فى وعى شيخى حتى يثبتها فى هذه الصفحة هكذا؟ أنا لا أستبعد أمرين على طرفى نقيض.

الأول: أنه سمع "حدوتها طفلاً" ووصله منها ما يصل الأطفال من بطولة أنثوية، وفروسية أنثوية، وبسالة أنثوية، وظل ذلك كامناً حتى ظهر اليوم على سطح وعيه مع بعض طفولته الحرة وهو يتدرب على الكتابة من جديد.

والثانى: هو أنه، وهو الذى همَّه على فلسطين لا يخف ولا يخفت مع ما يصله من أنباء عن ما يلحقهم من قهر وإذلال، قد قفزت إليه سيرة هذه الفارسة البطل فشعر كم نحتاج جميعاً رجالاً ونساءً، كباراً وأطفالاً لمثلها الآن. ولعله كان يتساءل فى داخله وخارجه: أين نحن الآن من بطولة هذه الأميرة؟ فحضرت شخصياً، فى حركية وعيه ليقفز اسمها إلى صفحة تدريبيه،

وهأنذا أحمل رسالته إلى نساتنا وأطفالنا جميعاً قبل رجالنا!!،

سمعا وطاعة يا شيخنا!

الأمر الذى تعجبت له وأنا أقرأ موجز سيرة هذه الأميرة هو كيف أن حجم مخطوط تلك السيرة الشعبية يبلغ

ثلاثين ألف صفحة ونحن لا ننهل منه لا أطفالا ولا كبارا ما يليق وما ينفع، فحجبت أن أكتب عنها هذه السطور القليلة، لكنني لم أستبعد أن يكون شيعي قد ألم ببعض أصولها، فهو القادر أن يخرج من أي ألف صفحة بكلمة واحدة تحتوي ما أريد من كل تلك الصفحات، لتطل علينا في ابداعه بشكل أو بآخر، أو تقفز، في صفحة تدريب عابرة، فنتير ما تثير هكذا!!

ثالثا: البحر الأبيض والبحر الأحمر

لا أعرف لماذا حين قرأت هذه الكلمات الأربع قفزت إلى "مصر" قبل أن تقفز قناة السويس، أظن أن مصر تقع في حوض هذين البحرين أكثر من أن قناة السويس وهي تربط بينهما. ولا أريد أن أزيد الآن. كما أنني أعتقد أنه سيعود إلى ذكرهما في صفحة لاحقة وإن عاد عدتُ

*** **

وحدة الدراسة والبحث في الإنسان والتطور

"وحدة بحث في قراءة النص البشري من منظور تطوري انطلاقا من فكر يحيى الرخاوي"

نشرة الإنسان والتطور (الإصدار الفطحي حسب المحاور)

شباط 2012

عندما يتحرك الإنسان

مع ملحق ركود بريد الجمعية

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe

د. يحيى الرخاوي

rakhawy@rakhawy.org

mokattampsy2002@hotmail.com

*** **

للتسجيل في وحدة الدراسة و البحث في الإنسان و التطور

ارسل طلبك الى بريد الشبكة

arabpsynet@gmail.com

مصحوبا بالسيرة العلمية من خلال النموذج التالي

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>

كامل نشراته " الإنسان و التطور " (اليومية) على الويب

<http://www.rakhawy.org>

www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm